تأملات في آية الكرسي

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا مباركًا طيبًا فيه، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فحديثنا في هذا اللقاء سوف نتكلم إن شاء الله تعالى عن تأملات تربوية مع آية الكرسي.

ولعل البعض يستغرب يقول أنتم الآن في أرض الجهاد والرباط تتكلمون عن آية الكرسي!

نقول: نعم، لأنّ المسلمين لا بد أن يعيشوا مع القرآن في جميع أحوالهم وفي جميع شؤونهم سواء في حالة الحرب أو في حالة السلم، في الليل وفي النهار، في السر وفي العلانية، في الصحة وفي المرض، لا بد أن نعيش دائمًا مع القرآن لماذا؟ لأنّ نجاحنا وفلاحنا إذا أردنا النجاح والفلاح والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة فعلينا أن نعيش مع القرآن.

فهنا سوف نلقي نظرة تربوية إيمانية مع آية الكرسي، لماذا آية الكرسي؟ لأنّ آية الكرسي تغرس في قلبك العقيدة، آية الكرسي تعلقك بالله سبحانه وتعالى.

الآن مشكلة من المشكلات أنّ بعض الناس فقط يقرأ آية الكرسي ما يتأمل ما فيها من المعاني التربوية والعقائدية.

فآية الكرسي تربي فيك التعلق بالله سبحانه وتعالى، آية الكرسي تقوّي فيك وتجعلك قويًّا وشجاعًا وثابتًا ومقدامًا، آية الكرسي تجعلك لا ترجو غير الله، لا تخاف إلا من الله، لا تستعين إلا بالله سبحانه وتعالى.

ولهذا أحببنا في هذا اللقاء أن نلقي نظرة تربوية إيمانية مع آية الكرسي.

طبعًا فضل آية الكرسي، يقول النبي صلى الله عليه وسلم أنّ من قرأ آية الكرسي قبل أن ينام لم يزل عليه من الله حافظ.

تصوّر الله يحفظك، يحفظك من كل شيء، يحفظك من شياطين الإنس وشياطين الجن يحفظك من الهوام والدواب، يحفظك من أشياء قد لا تطرق على بالك، وهي أعظم آية في كتاب الله، تصوروا، ويقرأها المسلم في اليوم والليلة ما يقارب من ثمان مرات، بعد كل صلاة، الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وهي من أذكار الصباح والمساء، وكذلك قبل النوم، فيقرأها المسلم أو يعيش مع آية الكرسي في اليوم ثمان مرات.

لكن كما قلنا قبل قليل أنّ المشكلة أننا نقرأ آية الكرسي ولا نطبق ما في آية الكرسي، ولعل بعض الناس يقول كيف تطبقون آية الكرسي؟ نعم لأنّ فيها معاني عظيمة.

آية الكرسي يا أحبابي الكرام، الله جلّ وعلا يحدثنا عن نفسه سبحانه وتعالى وما أجمل الحديث عن الله سبحانه وتعالى، أجمل شيء في هذه الدنيا أن نجلس ونتحدث عن الله سبحانه وتعالى، عن عظمة الله، عن كبرياء الله، عن جمال الله سبحانه وتعالى.

ولهذا نجد أنّ في آية الكرسي من أولها إلى آخرها –تصوروا– الله يتحدث عن نفسه، الله جلّ وعلا يعرفنا بنفسه سبحانه وتعالى.

بل القرآن الكريم –إخوة الإيمان والعقيدة– القرآن الكريم كله حديث عن الله سبحانه وتعالى، ما تجد آية في القرآن إلا وفيها الحديث عن الله سبحانه وتعالى –في الغالب–، إما بذكر اسم من أسمائه سبحانه وتعالى أو بذكر صفة من صفاته أو غير ذلك، هذا مع التأمل والتدبر والتفكر، ولكن نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحيي قلوبنا، أصبحنا نقرأ كلام الله ولا نتدبر ولا نتفكر ولا نتأمل ما فيه من المعاني والأسرار العظيمة العجيبة.

طبعًا آية الكرسي فيها خمسة أسماء لله جل وعلا، الله ذكر لنا أنّ من أسمائه: الله، والحي، والقيوم، والعلي، والعظيم.

(اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ) بدأ الله سبحانه وتعالى، استفتح هذه الآية باسمه ذو الألوهية والعبودية الذي يُعبد (الله) الله، شوف بداية مشرقة، واسم (الْقَيُّومُ) سبحانه وتعالى حبًّا وتعظيمًا، نحن نعبد الله سبحانه وتعالى حبًّا فيه سبحانه وكذلك تعظيمًا لله جل وعلا، وتعالى لما أغدق علينا من نعم.

(اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) -الاسم الثاني –نحاول نختصر بقدر الإمكان أنا الحي، فالله له الحياة (الْحَيُّ) الله يخبرنا الآن يقول إنّ من أسمائي (الْحَيُّ) الكاملة سبحانه وتعالى، حياته جل في علاه لا يتطرقها نقص ولا عيب ولا خلل سبحانه وتعالى، حياةٌ كاملة، بعكس حياة الإنسان، حياة المخلوق، سُبِقت بعدم ويلحقها زوال، أما الله جل في علاه حياته لم تُسبق بعدم ولا يلحقها زوال جل في علاه.

؟ الله سبحانه وتعالى يقول لعبيده أنا (الْحَيُّ) طيب ماذا نستفيد من هذا الاسم الحي، لا يجوز لنا أن نتوجه إلى المخلوقين بالدعاء والاستغاثة، لا نتوجه إلى (وَتَوَكَّلْ عَلَى) :الأموات، إلى القبور، لماذا؟ لأنهم يموتون، الله سبحانه وتعالى قال الله هو وحده الذي لا يموت، وكل من في السماوات (الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) والأرض يموتون، فلماذا تذهب إلى المخلوق العاجز الضعيف القاصر وتستغيث به وتدعوه وتترك الله الواحد الأحد سبحانه وتعالى.

فالله (الْقَيُّومُ) :الاسم الثالث من أسماء الله سبحانه وتعالى في هذه الآية العظيمة جل وعلا يعرّفنا بنفسه ويقول لنا إنني أنا القيوم، ما معنى القيوم؟ أي القيوم القائم بنفسه والمقيم لغيره.

الله سبحانه وتعالى هو الغني لا يحتاج لأحدٍ من خلقه، لكمال غناه جل في علاه، بعكس المخلوق، المخلوق يحتاج إلى أشياء كثيرة، لا يستطيع أن يستقل بنفسه؛ فهو يحتاج إلى الطعام والشراب، يحتاج إلى النكاح، يحتاج إلى الطبيب إذا مرض، يحتاج إلى أشياء كثيرة، هو ما يستطيع أن يستقل بنفسه عن مساعدة الآخرين، أما الرب العظيم الكبير سبحانه وتعالى فهو القائم بنفسه، وكذلك ثانيًا مقيم لغيره، الله أكبر، كيف؟

يعني كل من في السماوات ومن في الأرض، الملائكة والإنس والجن الحيوانات والبهائم والنباتات كلها لا تستطيع أن تستغني عن الله سبحانه وتعالى طرفة عين، فهي بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى حاجةً ماسة وضرورية.

هذا ماذا نستفيد منه يا أحبابي الكرام؟ نستفيد منه وقفة تربوية وهي أنّ الإنسان دائمًا يستعين بالله، إذن الله سبحانه وتعالى قائم بكل من في السماوات والأرض لأنه هو القوي العزيز القادر المقتدر المتين المهيمن سبحانه وتعالى.

طيب لماذا أنا لا أستعين بالله؟ لماذا أذهب إلى فلان وعلان؟ لماذا أذهب إلى المخلوق الفلاني وأستعين به؟ طبعًا إذا كان هذا المخلوق غير حاضر لا يجوز.. فلهذا الله، إذا كان في شيء لا يقدر عليه إلا الله لا يجوز أن تستعين بالمخلوق سبحانه وتعالى يربينا في هذه الآية أننا لا نتوجه إلا إلى الله وحده لا شريك له لأن الله بيده مقاليد كل شيء، بيده خزائن كل شيء، بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير، هذه كلها صفات لله، الله سبحانه وتعالى في القرآن حدثنا بها عن نفسه سبحانه وتعالى.

السِّنة ما هي؟ (الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ)

فهذا لكمال حياة الله عز وجل، (وَلاَ نَوْمٌ) السنة هو النعاس، مقدمة النوم ولهذا رسولنا عليه الصلاة والسلام قال: "إنّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام" لأن الله سبحانه وتعالى هو الحي القيوم سبحانه وتعالى فهو لا ينام، فلهذا ينبغي أنّ هذه القلوب تتوجه إلى القوي العزيز الملك العظيم سبحانه وتعالى الذي لا تخفى عليه خافية جل وعلا، هذا يفيدنا فائدة تربوية أنّ الإنسان دائمًا يشعر بالخوف والوجل من الله سبحانه وتعالى، لماذا؟ لأن الله معك، والله سبحانه وتعالى لا يغفل عن الإنسان مهما ذهبتَ إلى أي مكان، في السماء، وأنت في الأرض، وأنت في خندق أو أنت في مغارة أو في أي مكان، الله سبحانه وتعالى معك، فانتبه واحذر أن تخالف أوامر الله سبحانه وتعالى، دائمًا تراقب الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله لا يغفل، والله لا ينسى سبحانه وتعالى، فينبغي على العبد أن يكون دائمًا على خوف ووجل، يحسب ألف حساب لكل كلمة تصدر منه، أن لا يغتاب، أن لا يكذب، يحسب ألف حساب لكل فعل حتى الهواجس التي في عقلك لا بد أن تحسب لها، لخطرات القلب، ما يخطر في بالك ألف حساب؛ لأنك تستشعر أنّ الله هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

الله أكبر، الله يقول أنا لي ما في (لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) السماوات وما في الأرض، فينبغي علينا أن نحسن الظن بالله، هذ الفائدة التربوية: إذا دعوت الله بشيء تستشعر أنّ الله غني، أنّ الله ما يرديني؛ لأن الله أجود الأجودين، له ما في السماوات وما، هو أكرم الأكرمين، أرحم الراحمين في الأرض، فتدعو الله وأنت توقن بالإجابة لأن بيده ملكوت كل شيء سبحانه وتعالى، ولا تخضع لغير الله، لا تخضع لا لملك ولا لرئيس ولا لأكبر إنسان، ولا

تخضع لأقوى قوة على وجه الأرض ما تخضع لها ولا تخاف منها، لماذا؟ لأن هؤلاء كل من تراه على وجه الأرض كلهم عبيدٌ لله أذلاء فقراء محتاجين لا يملكون لأنفسهم شيئًا، هو الذي بيده كل شيء سبحانه وتعالى.

(لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا): ثم قال سبحانه وتعالى يعرفنا بنفسه هذا دليل على أيش؟ (الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)
الآية التي قبلها دليل على مُلك الله سبحانه وتعالى، أنّ مُلك الله مُلك شامل مطلق سبحانه وتعالى.
هذا إن (لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) أن ما أحد, دلّ على شيء فإنما يدل على كبرياء الله، وعظمة الله، وجلال الله يشفع عنده إلا لمن أذن له، الله عز وجل هو الذي يأذن ثم بعد ذلك إذا أذن الله يشفع، إذا لم يأذن الله ما يشفع.
ما معنى ما (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) بين أيديهم؟ أي في الحاضر والمستقبل، وما خلفهم: أي في الماضي.
إذن نستفيد من هذا فائدة تربوية وهي أنّ الله جل في علاه علمه شامل لكل شيء، يعلم ما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون، ماذا يحدث لك بعد ثلاثين، أربعين سنة، الله يعلم, عشرين.
أين تموت وكيف تموت، الله يعلم.
الله عالم بكل شيء، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، أي في الماضي ما ارتكبته من المعاصي والذنوب الله يعلمه، وفي المستقبل الله يعلمه، فلهذا ينبغي عليك يا أيها العبد الضعيف الذليل أن تفتقر إلى الله، أن تذل نفسك لله سبحانه وتعالى، ودائمًا تطلب من الله سبحانه وتعالى الإعانة والهداية والتوفيق والرشاد والسداد، وأن تحذر كل الحذر أن ترتكب ما نهى الله عز وجل عنه.
(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ): ثم قال سبحانه وتعالى الله يخبرنا أن أنتم يا أيها العبيد ما تستطيعون أن تحيطوا بكل (عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء)بكل شيء شيء، لأن الإنسان قاصر، الإنسان ضعيف عقله عاجز، فلا يستطيع أن يحيط سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أنّ له وجه، وأخبرنا جل في علاه أنّ له يد الله جل وعلا أخبرنا (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء)
سبحانه وتعالى، وأخبرنا سبحانه وتعالى كذلك عن كثير من صفاته جل في علاه، ولكن نحن نثبت هذه الصفات ونقر بها ولكن لا نسأل كيف.
الله قال– الله له يد، كيف يد (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)- كيف وجه الله؟ كيف عين الله؟ الله؟ هنا نقول: الله أعلم، ما نتعمق ولا نسأل كيف؛ لأن الكيف مجهول، ولأن فلهذا العلماء يذكرون, الإنسان عقله قاصر لا يستطيع أن يتصور، عاجز قاعدة يقولون أنّ العقل لا يدرك الأمور الغيبية، الله سبحانه وتعالى حدّثنا عن الجنة عن قصورها وأنهارها وأشجارها، لكن كيف القصر؟ الله أعلم، كيف أشجار الجنة؟ كيف الحور العين؟ كيف الأنهار؟ الله أعلم، كيف نهر من خمر ونهر من لبن؟ الله تعالى أعلم.

فنحن –حتى الإنسان يرتاح ويطمئن ويشعر بالاستقرار النفسي والسعادة عند آيات الصفات أن تقول سمعنا وأطعنا وصدّقنا وآمنا، هذه -القلبية القاعدة، هذا الواجب على كل مسلم في الأمور الغيبية يقول سمعنا وأطعنا وصدّقنا وآمنا.
هناك قاعدة ذهبية –انتبهوا لها– يقولون أنّ الأمور الغيبية لا نسأل كيف ضعوها في بالكم لا تنسوها، الأمور الغيبية لا تسأل كيف، كيف هي الجنة؟ الله أعلم، الله أخبرنا عن الجنة، كيف أرض المحشر؟ كيف يكون عذاب القبر؟ الله أعلم، أمور الغيب لا نسأل كيف، نصدّق ونسمع ونطيع، هذا هو الواجب على كل مسلم.
(وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء)فهنا الله عز وجل يقرر لنا حقيقة إلا بما شاء أي إلا بما أطلعنا الله عز وجل عنه، فلهذا الإنسان لا بد أن يعترف بالحقيقة، وهو أنه قاصر وعاجز أمام عظمة الله، أمام علم الله، فلا يدخل نفسه في كل شيء ويتعمق ويفصّل، ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يسألون على كل شيء، وكان الرسول يقول الحديث مثلاً عن اليوم الآخر أو عن صفات الله وخلاص.
الرسول عليه الصلاة والسلام قال: يضحك ربك من رجلين يقتل أحدهما الآخر وكلاهما يدخل الجنة. الرسول أخبرنا أنّ الله يضحك، تقول كيف؟ أقول لك لا تقل كيف، صفات الله لا تقل كيف، الأمور الغيبية لا تقل كيف، لماذا؟ كما قلت لكم، لأن العقل لا يدرك حقيقة عالم الغيب، فلهذا تقول سمعنا وأطعنا وصدّقنا وآمنا.

(وَسِعَ): ثم قال سبحانه وتعالى –الآن يذكر الله سبحانه وتعالى شيء من عظمته ما هو الكرسي؟ الكرسي كما قال ابن عباس (كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) رضي الله تعالى عنه هو موضع قدمي الرب سبحانه وتعالى.
الكرسي تصوروا هذا الكرسي ما نسأل كيف، كيف الكرسي؟ ومن أيش الكرسي؟ لا ما نسأل.
يعني تصوروا أنّ الكرسي الذي يضع رب (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) يعني أعظم وأكبر (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)العزة قدمه عليه، هذا لأن العرش, وأوسع من السماوات السبع والأراضين السبع، فكيف بالعرش أعظم من الكرسي، ولهذا إذا سُئلت أعظم المخلوقات ما هي؟ فقل هو العرش، إذن هذا هو العرش (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)كما قال سبحانه وتعالى في لغة العرب يقولون العرش هو سرير الملك، لكن كيف هو العرش؟ الله أعلم، ما نسأل كما قلنا، أمور الغيب لا نسأل كيف، والله جل وعلا ذكر لعرشه ثلاث صفات في القرآن: العظيم، والكريم، والمجيد.

لا يؤوده يعني لا يثقله، (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) لكمال قوة الله، وقدرة الله، وعظمة الله، أنّ الله لا يؤوده من في السماوات والأرض أن يحفظهما وأن يرعاهما سبحانه وتعالى، ما يعجزه شيء سبحانه وتعالى.

الآن الله جل وعلا ختم هذه الآية (وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) ؟ قال العلماء الله له (الْعَلِيُّ)اسم من أسماء الله، ما معنى (الْعَلِيُّ) ,باسمين عظيمين العلو في ثلاث أمور: علو في الذات، أي أنّ الله فوق عرشه سبحانه وتعالى، علو الذات. وعلو القهر –هذا رقم اثنين– أي أنّ الله قهر جميع المخلوقات، يعني أذلها لا تستطيع هذه المخلوقات أن تخرج عن إرادة الله ومشيئته سبحانه وتعالى. والأمر الثالث: علو القدر، أي الصفات، فصفات الله كلها عالية له الأسماء الحسنى والصفات العلا ليس فيها نقصٌ ولا خللٌ ولا عيبٌ سبحانه وتعالى، هذا معنى (الْعَلِيُّ).

أي أنّ الله أعظم من كل (الْعَظِيمُ)ثم الاسم الذي بعده وهو الاسم الخامس شيء، وأكبر من كل شيء، له العظمة في أسمائه وصفاته وأفعاله وذاته جل وعلا، ذو الجلال والإكرام سبحانه وتعالى.

فانظروا رحمكم الله كيف أنّ هذه الآية كلها من أولها إلى آخرها كلها حديثٌ عن الله سبحانه وتعالى، نظرتم يا أحبابي الكرام كيف أنّ هذه الآية فعلاً تغرس في قلب العبد التعلق بالله، الثقة بالله، التوكل على الله، الاستعانة بالله، وأنّ الإنسان لا يخاف ولا يهاب من أحد، لماذا؟ لأنّ هذا الكون بما فيه كله بيد الله سبحانه وتعالى، فالإنسان يذل نفسه للخالق، اسمعوا هذه الحكمة: "ذل نفسك للخالق يسخّر لك المخلوق"، بعض الناس للأسف الشديد يذل نفسه للمخلوق، لا، أنت تذل نفسك للخالق فالله عز وجل يسخّر المخلوق؛ لأن قلوب العباد كلها بين إصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء سبحانه وتعالى.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفقني وإياكم لأن نتأمل كلام الله عز وجل وأن نعيش مع القرآن.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.